REVUE D'HISTOIRE MAGHREBINE

(Epoque moderne et contemporaine)

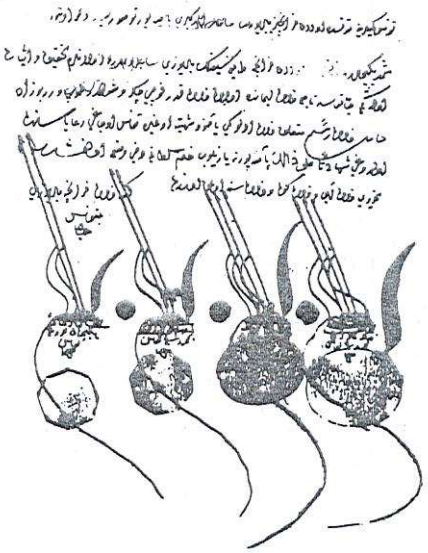

19e Année Numéros 67 - 68 Août 1992

Ceromdi - Zaghouan

CENTRE D'ETUDES MAGHREBINES A TUNIS

قائمة ببيلوغرافية

اعتمدنا اساسا في هذه المحاضرة على مجمل المقالات والوثائق التي كنت قد نشرتها من قبل وكذلك بصفة خاصة على مقالات المرحوم يوسف الرويسي ومذكراته السياسية الهامة .

- د. عبد الجليل **التميمي**. - " في ذكرى المرحوم لمناضل يوسف الرويسي" ، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 21-22 ،افريل 1981 ، من 5 الى ص 8.

- د. عبد الجليل **التميمي**. - " رسائل جديدة للمرحوم المناضل يوسف الرويسي" ، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 27 - 28 ، ديسمبر 1982 ، من307 الى ص 320 .

- د. عبد الجليل **التميمي**. - " من مذكرات مناضل المغرب العربي: المرحوم يوسف الرويسي" ، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 35-36 ، ديسمبر 1984 ، من 138 الى ص 142 .

- د. عبد الجليل **التميمي** . - " تقديم الجزء الثاني لمذكرات مناضل المغرب العربي المرحوم يوسف الرويسي السياسية" ، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 41-42 ، جوان 1986، من 145 الى ص 160.

- يوسف **الرويسي** . - " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق 1946-1961 "، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 6 ، جويلية 1976 ، من 123 الى ص 124 .

- يوسف **الرويسي** . - " نشاط مكتب المغرب العربي ببرلين"، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 7-8، جانفي 1977 ، من 28 الى ص 39 .

- يوسف **الرويسي** . - " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق الحلقة الاولى: في الطريق الى الشرق "، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 9 ، جويلية 1977، من 171 الى ص 181.

- يوسف **الرويسي**. - " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق: الحلقة الثانية"، في **المجلة التاريخية المغاربية** ، عدد 10-11 ، جانفي 1978، من 108 الى ص 112.

- يوسف **الرويسي** . - " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق: الحلقة الثالثة" ، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 12 ، جويلية 1978 ، من 207 الى ص 223 .

- يوسف **الرويسي**. - " نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق. الحلقة الرابعة: دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب بالقاهرة"، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 15-16، جويلية 1979، من 103 الى ص 118.

- يوسف **الرويسي** . - " قضية المغرب العربي" ، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 35-36 ، ديسمبر 1984، من 143 الى ص 158.

- يوسف **الرويسي**. - " مذكرات يوسف الرويسي السياسية"، في **المجلة التاريخية المغاربية**، عدد 35-36، ديسمبر 1984، من 159 الى ص 218.

كتابات سليمان الباروني التاريخية*

محمد مسعود جبران

كلية اللغات - جامعة الفاتح - طرابلس

اتجه الباروني كما سيوضح هذا البحث الى كتابة التاريخ القديم والحديث ، والى احياء التراث، الذي يصور عظمة ماضي الأمة الاسلامية ومفاخر رجالها ، فألف كتاب **الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية** ، وكتب تعليقاته وتعقيباته على كتاب **سلم العامة والمبتدئين** ، ووضع مختصرا ارخ فيه لأسرته كما شرع في تجميع مواد كتاب كان ينوي تأليفه حول الحرب الليبية الايطالية . ولاشك في أن تلك الجهود التأليفية ، تدلنا على ميوله للتاريخ ودراسته كما تدلنا ايضا على ان تلك الجهود ، كانت تمثل اتجاهات تلك المرحلة الفكرية ، التي عني فيها ادباء وكتّاب الشرق والغرب بأحياء القديم ، وكتابة التاريخ والذي اندرج يومئذ ضمن اعمال اولئك الكتّاب والأدباء، من امثال احمد شفيق وعبد الرحمن الرافعي ، ومحمد عبد الله عنان ، وحسن حسني عبد الوهاب وأضرابهم .

ان كتابة التاريخ - في بداية القرن اعتبر "فنا ثريا اتسع نطاقه في الادب المعاصر، وعمل في ميدانه عديد من الاعلام ، واستطاع ان يجلي جوانب كثيرة من تاريخ مصر ، والامة العربية والعالم الاسلامي ، وتميز بظهور عدد من رجال الموسوعات" (1) .

فماذا نلحظ على كتابات الباروني التأليفية ؟ وما طبيعة أعماله في كتابة التاريخ ؟

أ - تعليقاته على كتاب سلم العامة والمبتدئين :

ان اقدم اثر وصلنا للشيخ سليمان الباروني هو ما كتبه مذيلا به ومعلقا على رسالة والده التاريخية المعروفة ب"**سلم العامة والمبتدئين، الى معرفة ائمة الدين**" . وقد كتبت هذه لرسالة عام (1290هـ / 1873 م)، استجابة لطلب احد وجهاء بلده الحاج سليمان بن زيد اليفرني

(*) من اعلام السياسة والجهاد في العهد العثماني . ولد في مدينة جادو سنة (1287هـ/1870م) وتلقى تعليمه في جامع الزيتونية بتونس والازهر بمصر ثم رحل الى الجزائر حيث اكمل تحصيله في وادي ميزاب بشيخة محمد بن يوسف اطفيش ورجع الى طرابلس سنة 1316 هـ، وفيها ظهر له نشاط سياسي اعتقل مرتين على اثره ثم هاجر الى مصر الى ان اعلن الدستور العثماني سنة (1326/1908) فاختير في مجلس المبعوثين بالاستانة وعندما نشبت الحرب الليبية الايطالية كان من ابرز القادة المسيرين لحركة الجهاد، وفي سنة (1335هـ/1916م) عين واليا على طرابلس بفرمان عثماني ، وهاجر الى الشرق سنة (1341هـ - 1922م) عندما سيطر الايطاليون على ليبيا ، وعاش في العراق ومسقط الى ان توفي في رحلة رسمية بمدينة بومباي في ماي سنة (1359هـ/1940م) .

(1) أضواء على الادب العربي المعاصر ، ص 40 .

اليفرني ، وطبعت في مطبعة النجاح بمصر ، عام (1324هـ/ 1906م) اي في السنة الاولى من اقامته الثانية بالقاهرة وقبل الشروع في نشاطاته المتعددة التي ظهرت له اثناء هذه الاقامة ، وقد اشرف على طبع رسالة والده وعلى نشرها ، بعد ان ذيلها بتعليقات مفيدة قال عنها "محلاة ببعض كلمات كالحاشية ، لا تخلو من فائدة حررها ابن المؤلف - حفظه الله -" (2).

وتقع هذه الرسالة في ست وخمسين صفحة ، وقد تناول فيها مؤلفها حقائق متعلقة بالمذهب الاباضي ، وطائفة من اعلامه ، وقطوفا من المناقب والسير ، وحوادث التاريخ ، وكيف ان احد التجار الليبيين كان سببا في نشر الاسلام في غلنة وبعض البلاد السودانية ، ونتفا عن أئمة المذهب الاباضي في المشرق ، وكيف ان هذا المذهب الذي تأسس بجابر بن زيد بعد من اقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق .

وقد رأى مترجمنا في جهد والده الوجيز ، مواطن تحتاج الى اضاءات وتنويرات ، ومواضيع يحسن ان توضح بتفسيرات وتعليقات ، فاقدم على عجل يلبي تلك الجوانب حيث قال : "ولو خطر بالبال تحرير شيء على هذه الرسالة قبل الشروع في طبعها ، لأتينا في كل مقام كلام منها بما هو اوسع" (3).

ويندرج هذا العمل - على تواضعه - ضمن دائرة تحقيق النصوص ، ونعول عليه هنا لانه من اوائل النصوص النثرية لمترجمنا ولأنه ينقل لنا بأمانة ملمحا من ملامح تكوينه الفكري . وتطلعنا هذه التعليقات أو الكلمات كالحاشية" كما وصفها كاتبها ، على عدة محاور وملامح في فكر الشيخ سليمان الباروني ، وفي اتجاهاته العقلية ابان شبابه نذكر منها :

1 - عنايته بعلم التاريخ ، واعجابه به وقد استطعنا ان نتبين من تعليقاته التاريخية القيمة هذه، فراغه من تأليف كتاب "الازهار الرياضية في ائمة وملوك الاباضية" ، وقد دلنا على ذلك من خلال اشاراته الكثيرة اليه ، واحالته المتكررة عليه .

2 - اعتماده في تحقيق بعض المسائل ، على مصادر ومراجع مختلفة ، واحيانا على وقائع معاصرة ، بخلاف الأصل الذي يعتمده فيه والده غالبا على مصادر محدودة .

3 - مع حرصه على تفجير قضايا حيوية ، يعني كثيرا بايراد الكرامات للأولياء المذكورين في الرسالة ، ويحرص على التدليل على مكانة الرجال بما ظهر لهم في حياتهم ، وبعد مماتهم وأمارات شواهد تدل على صلاحهم .

---

(2) سلم العامة والمبتدئين ، ص 2

(3) سلم العامة والمبتدئين ، ص 56 .

4 - يشيد بأئمة المذهب الاباضي ، وينوه ببعض اجداده الذين عرفوا بأعمالهم في التاريخ مثل ابي زكريا وابي هارون .

5 - يهتم كثيرا بنفي ان الأمة اجتمعت على حصر الحق في المذاهب الأربعة ، ويسعى بأدلته المنطقية الى بيان بطلان هذا الزعم ويحذر المسلمين مما يسميه "التحالف الديني" الذي يفسر نتائجه بقوله" وهو الأمر الذي ترك الاسلام في افتراق وتشتت" (4) ونلحظ في هذا المقام ، أن فكرة توحيد المذاهب الاسلامية تبدأ عنده في الظهور منذ هذا التاريخ ، ثم تعتمل في نفسه ليعبر عنها بوضوح في جريدته الأسد الاسلامي ، اي بعد سنتين من طبع هذه الرسالة . قال في تعليقه على رسالة والده : "فمتى يأتي يوم لا يذكر فيه المسلمون في الشرق والغرب الا الله ورسوله وكتابه ولا يذكرون الائمة الا باسم علماء كفيرهم من علماء الاسلام ، فيصبح الدين واحدا والمذهب واحدا لا طرق ولا مذاهب ، وإذ ذاك يزول الشقاق ، ويتحد الرأي ، فيطلبون الانضمام الى خليفة واحد كما كانوا على عهد الصحابة الراشدين ايام الخليفتين بالاتفاق ابي بكر وعمر رضي الله عنهما" (5) .

6 - استنكاره لتشييد المقامات للموتى قرب الحرم الشريف ، وتعنيفه لمن يقحم في الدين القيم - بدعا تأباها شريعته الغراء .

7 - تنقل لنا التعليقات بأمانة ، صورا من نشاطه في فترة شبابه ، فقد استنهض همم بني يفرن لمباشرة العمل في تجديد قبر الولي الصالح ابي حاتم بعد ان اخنى عليه الدهر (6) . كما تدلنا في لمحات سريعة على مظاهر اعجابه بالفكر الديني عند الشيخ محمد عبدة ، الذي يصفه ب"العالم المنصف" (7).

ب - كتاب الازهار الرياضية :

يقع هذا الكتاب - بحسب تصنيف المؤلف في ثلاثة اجزاء - تتضمن الحديث عن أئمة وملوك الاباضية ، ولم يطبع منه الا الجزء الثاني ، وهو القسم المختص بالكلام عن مدينة "تيارت" تاهرت، وائمة بني رستم والدولة الرستمية . اما الجزء الاول فقد تلف في الحريق الذي منيت به مطبعة الازهار البارونية وهذا ما اكدته اسرته ، كذلك ضاعت مخطوطة الجزء الثالث من هذا الكتاب ، في زمان ومكان لا نعلمهما بوجه التحديد .

---

(4) المصدر نفسه ، ص 47 .

(5) المصدر نفسه .

(6) المصدر نفسه .

(7) المصدر نفسه .

لذلك نقف هنا وقفة اما الكتاب الذي بقي ، والذي عنونه ب "**القسم الثاني من الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية**" ، لنتبين صورته ، ومنهج المؤلف فيه ، وندل بها على خطته ، ضرورة انه الأثر الوحيد الذي نستدل به على معالم ما لم يصلنا من هذا التأليف .

والكتاب في عمومه - يؤكد على الحس التاريخي - عند المؤلف ، وغلبة هذا الحس على تفكيره وعلى عنايته باظهار مفاخر السلف والخلف ، سواء من اتباع المذهب الأباضي، الذي تتبعه اسرته كما هو الشأن في كتاب "الأزهار الرياضية" او من بني وطنه كما سنوضح فيما بعد عند الحديث عن فكرة كتابه "**تاريخ الحرب في طرابلس الغرب**" .

ويرجع تأليف هذا الكتاب الذي نعرضه "**الازهار الرياضية**" الى ثلاثة عوامل رئيسية ، هي التي حملت مؤلفه على التأليف :

العامل الأول : انه كان يسمع عن احوال هذه المدينة ، واعلامها في السياسة والعلم والدين، وتكونت عنده صورة مبدئية من شيخه العلامة محمد بن يوسف اطفيش ، فأحب ان يكوّن صورة تامة واسعة ، وفكرة موضوعية شاملة ، عن هذه المدينة العريقة ليس عن طريق المشاهدة الحسية - التي استأذن شيخه في ان يسمح له بالقيام بها عام (1316 هـ/1898م) كما جاء في كتاب الازهار-بل حتى عن طريق المعرفة العلمية الاستقرائية ، عن طريق المصادر والمظان لاكمال معرفته التي حصلت بالسماع ، والسعي لتعريف الناس بها ، وقد وقف بفضل هذه الحماسة ، على مصادر تاريخية قيمة وكثيرة ، سنشير لبعضها بعد قليل .

العامل الثاني : وهو ما يدلنا عليه الباروني بنفسه ، حيث ذكر ان سبب تأليفه لهذا الكتاب ، هو اظهار فضل هذه المدينة تيارت "تاهرت" ورجالها وملوكها ، "حتى يعلم ذلك الذي جهل الاباضية، لقلة بضاعته في العلم ، وعدم اطلاعه حتى قال ما قال" (8) . ويظهر من خلال هذا التعليل ، ان شخصا من ذوي اللجاجة انكر عليه تفكيره في زيارة تلك المدينة التي صارت اطلالا ، وانتقص مكانتها ودورها ، فكان بجحوده سببا في النهوض لاظهار هذا الكتاب ، قال مترجمنا في تأليفه : "فكان ذلك من اكبر الاسباب الداعية الى ابراز فضائل هذه المدينة ، والبحث في صفحات التواريخ عنها ، وبعد ان مضى عليها مالا يبعد عن الف سنة وهي خراب ، ولقد نبهنا الى ما لم يكن خاطرا لنا بالبال ، فنشكره على ذلك ثم تمثل بهذين البيتين من الشعر القديم :

واذا اراد الله نشر فضيلة	***	طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتغال النار فيماجاورت	***	ما كان يعرف طيب نشر العود

---

(8) الازهار الرياضية ، ج 2 ، ص 12.

واردف ذلك بقوله "فهو قد نصح من حيث غش ، وارشد من حيث اضل ، فكان سببا لاظهار المخبآت ،وابراز المجوهرات" (9) .

العامل الأخير : سعيه وراء القيادة ، وغلبة طموحاته بعد أن لقبه شيخه اطفيش بألقاب كبيرة ، دله على ان من اسباب نجاحه ، نشر تاريخ اسلافه وامجاد قومه ، ليأتسى بصلاحهم وعدلهم واستقامتهم وليبصر الناس من معاصريه ، باشكال التعاضد والمعونة والمناصرة . والحقيقة التي تفرض نفسها على من قرأ هذا الجزء من كتاب الازهار الرياضية أن مؤلفه بذل فيه الوسع ، واجهد نفسه كثيرا في فترة تحصيله ودراسته ، وفي الزمن الذي تفرغ فيه بعد ظهور براءته - لجمع مادته الواسعة ، وتصنيفه وتبويبه ، حتى جاء على هذا النظام ، الذي جعله من المصادر الاساسية في دراسة هذه المرحلة من التاريخ . فقد اعتمد له من حيث الشكل البنائي- لغة علمية سهلة واضحة ، تتناسب مع مباحث علم التاريخ ، وطرز هذه اللغة في بعض المواطن بنثر فني لطيف ظهرت خلاله مواهبه الأدبية .

ومن حيث المحتوى ، استأنس بالمصادر التاريخية القديمة على مختلف وجهات اصحابها ومذاهبهم ومناهجهم في التدوين ، فنراه يأخذ عن مؤرخي الاباضية ، الذين يعجب بهم ويثق باقوالهم ورواياتهم ، كما يأخذ من تاريخ ابن خلدون ، الذي يتعامل مع اقواله في بني رستم بكل حذر ، ويصفه في بعض المواطن بأنه : "غير منصف في جانب الاباضية" (10) ، كما يعتمد على اقوال المؤرخين ممن يسميهم في كتابه ب"اخواننا المالكية والحنفية" (11) . والمؤلف يفعل ذلك ، حتى يبعد عن تأريخه ظاهرة التعصب لفريق دون فريق ، او كما قال "حتى لا يخطر ببال القارئ ، أن ما قلناه وسنقوله مجرد مبالغة ، او تمويه لا سند له" (12) كما يستند ، في ايراد الحقائق التاريخية - في هذا الكتاب - على اقوال المؤرخين من افاضل الاشعرية في وصف هذه المدينة ، ولذلك فان كتابه جاء معرضا لأقوال العلامة الشماخي وابن واضح العباسي الشهير باليعقوبي ، والشيخ مقديش الصفاقسي ، وابي اسحاق الفارسي المعروف بالكرخي ، وابي بكر القزويني ، وابي عبد الله البنا المعروف بالبشاري ، وابن حوقل وابن عذارى المراكشي المغربي واحمد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء في اخبار المغرب الأقصى وغيرهم . واقبال الباروني على دراسة مؤلفات هؤلاء المؤرخين الأعلام يطلعنا على مدى الجهد المبذول في الكتاب ، وعلى قدرته في تمحيص

---

(9) المصدر نفسه ج 2 ، ص 12

(10) المصدر نفسه ج 2 ، ص 20

(11) المصدر نفسه ج 2 ، ص 11

(12) المصدر نفسه ج 2 ، ص 11 ، ص 12 .

اقوالهم ، ليصل الى القول الذي يطمئن اليه في تاريخه وتحقيقه لمسائل كتابه .

يبتدئ الكتاب "اعني القسم الثاني من الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية" :

1 - بانتقال الامامة من طرابلس ، الى مدينة تاهرت بالمغرب الاوسط ، ومبدأ ذلك واسبابه .

2 - ابتداء تأسيس مدينة تاهرت .

3 - ذكر اقوال المؤرخين من افاضل الاشعرية في وصف مدينة تاهرت التي كانت تعرف ب "عراق المغرب" وقد اشتد - بلومه وتعنيفه في هذا الفصل - على بعض المؤرخين ، الذين حاولوا ان يسلبوا هذه التسمية من تاهرت ، حيث نسبوها لمدينة "فاس" وقال " لو انصف في كلامه واعطى كل ذي حق حقه ، ولو فيما هو بين الجمادات ، وبين العامر والدامر" (13).

4 - ثم شرع في الكلام عن المدن المنسوبة الى تاهرت ، فاورد منها مدينة تنس ، ومدينة وهران، وشلف ، والخضراء ، افكان غزة ، وسوق ابراهيم ، واريفن ، اوزكي ، الغدير زلاغ ، يلل ، قصر الفلوس ، مدينة كرا ، انكاد ، مازونة ، هوارة ، مليانة ، تاجنة اسير ، المعسكر ، يذكر المؤلف هاتيك البلدان ويذكر معها ما يتصل بتاريخها ، وحالتها الحاضرة .

5 - ثم عقد فصلا تحدث فيه عن العلماء المنسوبين الى تاهرت وقد قسمه قسمين :

أ - علماء الاباضية ، ب - علماء غير الاباضية

6 - ثم انتقل الى الحديث عن مدينة "سجلماسة"

7 - بعد ذلك عاد الى المقصود بالذات اي "أمر الامامة" ، فذكر كيف اجتمع الاباضية وتذاكروا في أمرهم ، بعد مبارحتهم طرابلس وتشتتهم وحاجتهم الى امام يسوسهم بالعدل ، الى ان اجتمعت كلمتهم على خلافة وامامة الامام عبد الرحمان بن رستم ، الذي اسهب الحديث في خلافته وعدله ، ودهائه وحسن تصرفه ، وفي الاعانات التي وردت اليه من الشرق ، وختم ذلك بذكر وفاته .

8 - الحديث عن خلافة الامام عبد الوهاب وذكر ولايته وحروبه .

9 - خلافة الامام أفلح بن عبد الوهاب وما يتعلق به من الكلام عن دهائه وأحواله ، ورسائله .

10 - انقراض ملك بني رستم من تاهرت ، واستيلاء الشيعة عليها (14).

11 - رثاء مدينة تاهرت لما خربت .

---

(13) المصدر نفسه ج 2 ، ص 16 .

(14) يقصد الدولة العبيدية .

وينتهي هذا القسم بخبر سياحة الباروني في المغرب ، وزيارته لمدينة تاهرت وما لقيه من اعيانها واهلها من تبجيل واكرام ، و ما شاهده في اطلال تاهرت من رسوم تدل على ماضيها ، وما أحدثته تلك المشاهد من حسرة وانكسار في نفسه ، الأمر الذي جعل الدمع ، ينحدر من عينيه مدرارا ، ويوحي اليه في تلك اللحظات الصامتة الناطقة بقصيدته في رثاء هذه المدينة .

ويختتم الكتاب بالفهرس المحتوي لموضوعاته ، والذي يقع في اربع صفحات .

بقيت عدة ملاحظات نحب اثباتها حول هذا الكتاب - الذي يجسد مظاهر النثر التأليفي عند سليمان الباروني - وهي ملاحظات ونقدات تكمل الانطباعات الأولى التي اوردناها فيما سلف .

فمن المظاهر الايجابية في هذا النثر التأليفي ، او في القسم الثاني من كتاب الأزهار الرياضية ، أن تعليقات المؤلف التي اودعها في الهوامش ، اضفت عليه قيمة وهي :

أ - تعليقات لغوية على كلمات جاءت غامضة في أصل الكتاب ، وتحتاج الى ايضاح ، وقد استعان على ايضاحها بالكتب المعتمدة في اللغة مثل القاموس المحيط .

ب - وتعليقات اخرى على مواقع جغرافية ، أو احداث تاريخية ، وفيها اورد ما يناسبها من شروح المصادر القيمة في التراث القديم والحديث .

وقد استطاع المؤلف بتلك التعليقات الدقيقة ، أن يظهر بمظهر العالم الثبت ، والمؤرخ ذي المقاييس في الترجيح والتقويم ، فهو لا يقبل كل المسائل الواردة في الكتب التاريخية ، بالتسليم التام والقبول ولا ينظر الى كل المشاهير باعجاب يحجب عنه التمييز ، فنحن كثيرا ما نراه يناقض الأقوال ، ويمعن النظر في الروايات وكمثال على نظره الدقيق المستقل المتميز ، نشير الى هذه النقاط :

1 - وقوفه بالنظر عند ما ذكره بعض المؤرخين من الاباضية - في ابتداء تأسيس مدينة تاهرت، من انهم امروا مناديا فنادى في الغابات والاحراش "يا من بها من الوحوش والسباع ان اخرجو وارتحلوا ، فانا نريد عمارتها ، و نازلون بها ، ولكم اجل ثلاثة ايام" فقد علق الباروني تعقيبا على هذه الحادثة بقوله" ذكر بعض المؤرخين مثل هذه الحكاية - في شأن الصحابة لما فتحوا افريقية ، وأرادوا تأسيس مدينة القيروان - ولعل الامام عبد الرحمان- يقصد عبد الرحمان بن رستم - اقتدى بهم في تأسيس تاهرت ايضا ، ولم نجد من نسب له هذه الكرامة من مؤرخين غيرنا- يقصد من غير الاباضية - اما عندنا ففي كل تاريخ والله أعلم" (15) .

---

(15) الازهار الرياضية ج 2 ، ص 7 .

2 - كذلك وقف وقفة تردد وحذر عندما ذكره بعض مؤرخي الاباضية من عملية حرق الاشجار التي سبقت تأسيس تاهرت ، ذلك انهم يكادون يجمعون على أن اصحاب عبد الرحمان بن رستم ، وضعوا في أصول الاشجار حيسا (اي معجونا اتخذوه من ثمر واقط وسويق مخلوطين بسمن) . فجاءت الخنازير في الليل لما شمت الرائحة ، وصارت تحفر تحت تلك الأصول حتى ازالتها ونزعتها" (16) .

ان هذه الرواية الاسطورية ، لا يسلم بها فكر الباروني ، وحسه العلمي وانما يعقب عليها بهذا التعقيب المتأدب "وبالتأمل يظهر أن هذا الأمر يحتاج الى شيء كثير من السمن ولوازمه لما في المكان من كثرة الشجر ، ثم انظر كيف يتأتى للخنازير نزع تلك الأصول العظيمة ذات العروق الراسخة المتفرعة في باطن الارض من احقاب لا يعلمها الا خالقها ، التي يكل في قطعها الحديد الحاد ، فالله اعلم كيف كان ذلك ، ولعل هناك امرا آخر سهل نزعها مع الخنازير واهمله التاريخ" (17) .

3 - لقد احتل ولي الله عبد الرحمان بن خلدون (732هـ/808 هـ) مكانة سامية بين اعلامنا القدامى ، وحظي بشهرة واسعة بين الباحثين في الماضي والحاضر ومع اعجاب مؤرخنا الباروني بابن خلدون وتقديره لعلمه ، الا انه يلاحظ عليه انه كان غير منصف للأباضية ، وعدم انصافه في رأيه راجع الى "جحوده أو اهماله ذكر ما كان لهم من الاخبار الحسنة ، وما كان لملكهم الذي شهد به المؤرخون من الصيت في تاريخه الطويل العريض المعدود في مقدمة التواريخ الاسلامية" (18) . والباروني في عتبه لابن خلدون ولومه على هذا التقصير ، يلتمس الاعذار لهذا المؤرخ الكبير ، فهو لا يظن به الجهل بأخبارهم ، لأنه يشهد له كغيره بسعة الاطلاع ، ويرى ان "اهماله اخبارهم وذكره بعضها مفرقا بحيث يصعب جمعها منه ، لا بد وأن يكون الأمر في باله - يعلمه الله - ولعل له عذرا فلا لوم عليه والله اعلم" (19) . والراي كما ترى وليد دراسة متأنية ، وصحبة لكتاب العبر ، ونتاج حكم كونه نتيجة دراسات طويلة فيه ، وهو يؤكد لنا قدرته في التمييز وعلى حسه التاريخي ، وعدم انسياقه وراء شهرة بعض المؤرخين والكتاب حتى وان كان ابن خلدون ، فما كان من خير وفضل ذكره وحمده وما كان من تقصير وضعف أبانه ودل عليه .

4 - ومن مظاهر الكتاب الايجابية، بعض نظراته التأملية في كتب التاريخ واحداث الماضي ،

---

(16) الازهار الرياضية ج 2 ، ص 7 و 8 .
(17) المصدر نفسه ج 2 ، ص 7 و 8 .
(18) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 20 .
(19) المصدر نفسه ج 2 ، ص 20 .

ومحاولته الافادة منها في واقع البلاد الاسلامية ومن تعليقاته الطريفة بحق ، والتي انقدحت في ذهنه مما كان يعتبر الخلافة العثمانية من تيارات هدامة ، أنه اشار ، في الحديث عن الامام عبد الرحمان بن رستم ومصاهرته لخصمه مدرار ، على قادة المسلمين وملوكهم ورؤسائهم ، وخصوصا السلطان عبد الحميد خان ، باهمية المصاهرة مع الأمراء المنفصلين عن دائرة نفوذه (20) . ان هذا التعليق اذا بدا اليوم ساذجا بسيطا بالنظر لظروف انهيار الدولة العثمانية المتعددة ، الا انه كان يمكن ان يكون من عوامل انقاذها وربما امتدت فعالية وصلاحية هذا الاقتراح الى الحاضر والمستقبل .

5 - ذكره لأقوال المؤرخين ، مع بيان اسم الكتاب الذي يرجع اليه اسمه واسم مؤلفه ورقم الصفحة فيما يكون مهما "تسهيلا على من اراد تحقيق ذلك ، ومراجعته من الأصل" يعد من مزايا منهاجه في التأليف . بيد أن كتاب الأزهار الرياضية-مع ايجابياته الكثيرة التي ذكرناها - الا انه يضم في طواياه بعض مظاهر السلبيات ، وهي وان لم تكن كثيرة . ولكن امانة البحث تقتضي ان نشير اليها في ايجاز . وفي مقدمة تلك السلبيات ، أن المؤلف كتب كتابه هذا في بداية حياته اي في فترة شبابه ، فانطلق في بعض نظراته من منطلق عاطفي ، منطلق الاعجاب المطلق بتاهرت ورجالها ، وهذا ما أملى عليه احيانا التمجيد المفرط لهذه المدينة وتاريخها ، والثناء على الاباضية في غير اقتصاد . والأغرب من هذا كله ان يسبح قلم الشيخ سليمان الباروني ، بعد ذلك، في بركة ماء آسن ، ويذهب في التقدير مذهب المغالات في تزكية الاصول العرقية ، وتسيطر عليه - في كتابة بعض التعليقات - فكرة التفاخر بالانساب التي هدمها الاسلام .

وآية هذا الانزلاق - في هذا الكتاب - انه حينما تكلم عن أهل تاهرت وعن تشبيه القدماء لبلادهم بالعراق ذكر - رحمه-الله قوله" لاتغفل ايها القارئ . فاننا ما سقنا هذا الكلام هنا لتشبيههم تاهرت بالعراق مع اعتدال الاعضاء ، واستواء الأخلاط ، وسمرة اللون ، وهم الذين انضجتهم الأرحام ، فلم تخرجهم بين اشقر وأصهب وابرص كالذي يعتري ارحام نساء الصقالبة من الشقرة ، ولم تتجاوز ارحام نسائهم في النضج الى الاحراق كالزنج والنوبة والحبشة، الذين حلك لونهم ، وتخن ريحهم ، وتفلفل شعرهم ، وفسدت آراؤهم وعقولهم ، فمن عداهم بين احمر لم ينضج ، ومجاوز للقدر حتى خرج من الاعتدال" (21) . والذي اذهب اليه - اعتقد ان القارئ يتفق معي فيه - ان هذا التعليق المستغرب من مترجمنا ، والذي يبلغ النهاية من حد التهافت لا ينهض على ادلة قوية تؤيده ، او براهين ساطعة من دين او عقل تدعمه ، وانه لو فتح باب المنافرة الجاهلية -لما اعيا

---

(20) المصدر نفسه ج 2 ، ص 97 ، 98 .
(21) المصدر نفسه ج 2 ، ص 9 .

كل فريق ان يسوق حججه ، ويبرهن على ميزاته ومفاخره ، وفي الحديث الشريف " كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ..." (22) . وقد سد الاسلام هذا الباب وأغلقه ، وانكر على محاولي فتحه ، لما يؤدى اليه من جاهلية جهلاء ، وضلالة عمياء ، قال الله تعالى "ومن آياته خلق السموات والارض ، واختلاف السنتكم والوانكم" (23) ، وقال تعالى "وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم" (24) . ومهما يكن من أمر ، فان الذي نرغب في التأكيد عليه ، أن مثل ذلك القول العاطفي غير الموضوعي ، صدر عن المؤلف في فترة مبكرة من حياته وقد هداه الله الى الحق في سائر آثاره ، حينما نظر الى الاشياء من منظور الاسلام ، الذي هدم العصبيات والعنصريات .

2 - ومن المظاهر السلبية التي اثرت على الكتاب الى حد ما ، أنه لم يكن هناك وقت كاف بين تأليف الكتاب ، ومراجعته ، وبين طبعه ونشره " حيث ان اغلب تحرير هذا الكتاب ، كان مجاريا لطبعه" ولذلك وقع فيه - كما يذكر المؤلف بعض تساهل وتجاوز" من حيث اللغة ، والاعراب ، والرسم ، وربما اطلع على شيء من ذلك بعد فوات طبعه، فاتأسف اذ لا يمكنني تصليحه" (25) . وقد ضرب لنا المؤلف مثالا على هذا التساهل ، بما جاء في مسالة مدينة بني رستم ، واعتقاده عند التحرير انها لم تعمر بعدهم ، ثم اطلاعه على ما يخالف ذلك من ذكر عمرانها بعدئذ . ونؤكد ذلك - بما جاء في موضع آخر ، متعلقا بتوزيع المياه في مدينة تاهرت - فقد تكلم عن كيفية توزيع المياه على بيوت تاهرت في صفحة (19) واجتهد في استنتاج صورة التوزيع نظرا لعدم وجود مصادر بين يديه ، ثم عثر اثناء الطبع على فائدة تؤيد ما استنتجه فاستدرك في صفحة (44) اثناء الطبع تحت كلمة (احمد لله على موافقة الحق) بأنه وقف على عين ما أستظهره فحمد الله على موافقة ذلك الفكر للحق ، راجيا ان تكون افكاره كلها كذلك " (26) . وفي نهاية الحديث عن هذا القسم ، لا يسعنا الا ان نقرر ، بان **الازهار الرياضية في أئمة وملوك الاباضية** ، كان من اوائل الآثار النثرية التاليفية في ليبيا ، وهو بالرغم من بعض المآخذ القليلة - يعد بحق مصدرا هاما من مصادر التاريخ لمدينة تاهرت وعلمائها وساستها ، كما يعد - برغم تلف الجزء الاول والثالث منه - نموذجا جيدا لكاتب وثقافته ، ولحسه التاريخي ، وتصدق على فصوله الكثيرة بل وعلى مؤلفه شهادة الاستاذ عبد العزيز الثعالبي "انه اوسع علما فوق ما كنا نظن عليه الشيخ سليمان الباروني" (27) . والجدير بالذكر هنا ان هذا الكتاب رشح الباروني سنة 1923 م للحصول على شهادة

---

(22) صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) ج 4 .

(23) [illegible] سورة الروم .

(24) [illegible] 13 من سورة الحجرات .

(25) الازهار الرياضية ج 2 ، ص 307 .

(26) المصدر نفسه ج 2 ، ص 44

(27) سليمان الباروني باشا ج 1 ، ص 84

الاكاديمية الفرنسية ، قسم التاريخ والجغرافيا في جامعة السربون (28) .

ج - مختصر تاريخ العائلة البارونية (29) :

في تراثنا العربي نوع من التأليف التاريخي ، يشتمل على التاريخ للأسر والبيوتات ويندرج هذا المختصر الذي الفه وجمع مادته سليمان الباروني تحت هذا النوع من الكتابة التاريخية . فسنة (1331 هـ/1912) تعد التاريخ الفعلي الذي حمله على تأليف هذا المعجم الصغير في فن التراجم ، والذي اسماه " مختصر تاريخ العائلة البارونية" واختاره لذكر اعلام من اسرته ، اشتهروا بالعلم والسياسة والادب والصلاح في التاريخ القديم ، وقد دلتنا على هذا التاريخ الذي تم فيه التفكير في انشاء وصياغة هذا المختصر ، رسالة بعثها الباروني الى الوالي الايطالي في طرابلس الغرب بتاريخ الاحد 3 صفر 1331 هـ /1912) اخبره فيها بعلمه بمن سعوا اليه - يقصد خصومه السياسيين - للاستنقاص من قيمة آبائه وأجداده وابدى فيها عزمه على كتابة ما يمكن ان يتم به العلم حول سيرة اسلافه (30) .

ويفهم من التاريخ المذكور ، انه شرع في كتابة هذا المختصر التاريخي للوالي الايطالي في زمن ظهر فيه الصراع بين الزعامات المحلية ، وإبان المرحلة الدقيقة التي بدا فيها التفاوض والبحث حول ما يعرف في التاريخ الليبي بـ :"الادارة المختارة" وان جهده هذا كان ضمن جهوده لابراز قيمته الحقيقية ، ومفاخر الاقدمين من اجداده املا في اقراره على تلك الادارة المختارة ، او ما يمكن ان يطلق عليه الحكومة الوطنية الداخلية ، التي اوشك الايطاليون - عقب هزائمهم المتلاحقة - على الاعتراف بها ، واغلب الظن ان هذا المختصر التاريخي الوجيز وصل الى الدوائر الحكومية الايطالية ، واطلع عليه المسؤولون وذوو الاختصاص من الساسة ، الذين صاروا ينظرون فيما بعد للباروني على انه من ابرز الزعامات القادرة ، التي يرفد جهادها ونضالها وتاريخها الحاضر ، ماض حافل صنعه اجداده ، واسهموا به في حياة هذه البلاد . ولا نكران في انه قد اتخذ ذلك الماضي ، راية ناصعة حرص على التلويح بها في جميع المواطن التي تدعو للمنافرة وللصعود الى سلم الكمالات التي عاش ساعيا اليها ، يدلنا على ذلك ان هذه الرسالة نفسها تقدم بها في مناسبة اخرى احد كبار الأوروبيين عقب الحرب العظمى "وبالرغم من انه لم يوضح لنا اسم الشخصية المذكورة او المناسبة الداعية لذلك " على نحو ما فعل في المرة السابقة" التي اتضحت فيها المناسبة وهوية من خوطب بها ، الا اننا نرجح انها ارسلت من جديد ، الى السلطات الحكومية الايطالية التي

---

(28) توجد هذه الشهادة ضمن تحف المتحف الاسلامي بطرابلس الغرب

(29) ملف الباروني، وثيقة رقم 1

(30) المصدر نفسه .

انتهت في التاريخ الذي كتبت فيه تلك الرسالة التاريخية (1920/1339) (31) الى مرحلة اخرى من معاودة المفاوضات ، وصلت الى الاعتراف بالجمهورية الطرابلسية ، ومنح الليبيين القانون الاساسي .

والذي نلحظه ان مختصر تاريخ العائلة البارونية المكتوب قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها ، مختصر تاريخي وجيز ، ولا يكاد يختلف في المرة السابقة عن المرة اللاحقة ، لا بل يتفق ليس في الغرض الذي أنشىء من اجله هذا المختصر فحسب بل إيضا في الاسلوب وطريقة العرض وعدد الشخصيات المتحدث عنها ، الى غير ذلك من وجوه الاتفاق ، الامر الذي يؤكد لنا ان الكاتب ، لم يجد خلال السنوات التسع التي انقضت على المرة الاولى التي كتب فيها المختصر متسعا من الوقت يسمح له باعادة النظر فيه بالاضافة او بالتوسع في نقوله .

وقد عمد الكاتب - في المختصر الذي تعرّض فيه لأفراد من اسرته - الى الطرائق القديمة المعهودة في تراجم الاعلام والاعيان ، فبعد ان ذكر وحدة الاصول التي تربط اسرته التي يعبر عنها ب "عائلتنا البارونية" بالاسرة البروانية الموجودة في مملكة عمان الكائنة في الجانب الشرقي من جزيرة العرب، والأسرة الموجودة في مملكة الزنجبار ، اشار في مقدمته الوجيزة الى عدم تحققه من اسم جده الاول ، الذي حل بليبيا ، في تاريخ لم يتبينه ايضا ، الامر الذي جعله يكتفي بايراد اسماء من رجال اسرته ، حرص الكاتب على وصفهم بأنهم" تولوا الحكم والرئاسة العلمية في جهات طرابلس من اواخر القرن الرابع الهجري تقريبا" (32) .

نبدأ بالامام الاكبر بارون الامام ابي هارون موسى بن هارون بن بالول الباروني ، ثم بابي زكريا الباروني والأمير ابي الربيع سليمان الباروني ، وهارون بن الأمير ابي الربيع سليمان الباروني وهكذا الى ان يصل الى تسع عشر ترجمة من تراجم اسلافه ، حيث اختتمها بالحديث عن الشيخ محمد بن زكريا الباروني من اعلام المائة العاشرة . وقد قال مترجمنا "نبغ منها بعد المائة العاشرة رجال لهم من الجاه والعلم والشهرة ، ما يستحق ان يدوّن ولعدم تدقيق تواريخهم بصورة موثوقة نكتفي بمن تقدم ذكرهم" (33) . ومن المعروف ان كتاب"السير" لأحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي من علماء القرن العاشر - وهو المصدر الرئيسي الذي اعتمد عليه سليمان الباروني في تراجم اسلافه - انتهى هو الآخر في ترجمة علماء وصلحاء الاباضية الى المائة العاشرة ، ومعنى ذلك ان مترجمنا اقتصر في هذا المختصر على مجرد الاختصار كما ذكر ، كما

---

(31) المصدر نفسه .
(32) سليمان الباروني باشا ج 1 ، ص 9 .
(33) المصدر نفسه ج 1 ، ص 32 .

انه لم يجد متسعا من الوقت للبحث في بعض الرجال من آله الذين عرفوا بعد ذلك التاريخ . ويظهر أن الكاتب في مختصره ، تأثر الى حد بعيد بمنهج الشماخي في السير ، اذ يميل في معظم تراجمه الى المبالغات والتهويلات وذكر المحاسن الاخلاقية والكرامات ، واسناد الفضائل لمترجميه والافراط في تعظيمهم اقتداء بالشيخ الشماخي (34) بيد أنه انتبه لهذا الغلو فاستدرك في ختام المختصر بقوله "هذا - وهم مع ذلك في سائر احوالهم الخصوصية-كآحاد الأمة بدون فرق" (35) .

ومختصر تاريخ العائلة البارونية ، يغلب عليه سمت اسلوب الشيخ سليمان الباروني ، في وضوح العبارة وسهولة الاداء والبعد في التعبير عن المعاني المختلفة - عن الاغراب والتعقيد وقد اتم تحرير المخطوط الاخير في العشرين من شهر جمادي الاولى سنة (1920/1339) بقرية جناون من قرى جبل نفوسه . اما اتمامه للمخطوط الاول الذي بعث به الى الوالي الايطالي ، فلم نهتد الى بيانات مفصلة عن تاريخ ومكان الانتهاء من تحريره والراجح انه كتب ايضا في احدى قرى ذلك الجبل عام (1331هـ/1912م) . وقد بعث مترجمنا بنسخة منه الى ولده ابراهيم الباروني (36) الذي كان طالبا يومئذ في مدرسة رأس التين الاميرية بالاسكندرية ، ليبين له تاريخ اجداده ، وليدعوه الى الانتساء بأسلافه حتى يكون له مجد اكتسابي يجمعه الى مجد جدوده (37) .

د - كتاب "تاريخ الحرب في طرابلس الغرب" :

ان "تاريخ الحرب في طرابلس الغرب" او "تاريخ حرب طرابلس من سنة 1911 الى سنة 1919" هو موضوع كتاب كان ينوي مترجمنا تأليفه ، لاظهار الحقائق المتصلة بتلك الحرب التي شارك فيها ، وتقرير احداثها على الوجه الصحيح كما عاينها ، وإبطال الزيوف والتحريفات والتشويهات التي حاول البعض الصاقها بها وبرجالها الابطال . ولو كتب لهذا الكتاب التأليف والجمع والنشر - كما كتب لكتاب الازهار الرياضية الذي دون الجزء الثاني منه وطبع في ظروف مواتية - لكان بمقدورنا ان نجلي صفحة خالدة من صفحات الكتابة التاريخية لهذا الاديب المجاهد ، ولأمكننا ان ندل بوضوح على مورد فياض للكلمة المقاتلة . وللفكر ذي الموقف ولعظمة الرجال الذين يحملون السلاح بيد ، والاقلام النظيفة بيد أخرى . لقد احاطت بالباروني ظروف قاسية ، بعد الحرب الليبية الايطالية ، وطوقته من كل مكان مشكلات وملابسات لا حصر لها ، جعلته موزع الفكر والجهود ، مشتت العمل والطاقات ، منعته من تحقيق بعض أمانيه ، وابعدته عن الوصول الى كثير

---

(34) انظر مؤرخون من ليبيا ص 25 وما بعدها .
(35) سليمان الباروني باشا ج 1 ، ص 33 .
(36) سليمان الباروني باشا و ج 1 ، ص 7 .
(37) المصدر نفسه ج 1 ، ص 7 .

من أغراضه ومراميه ، ومن بينها الوفاء لفكرة كتابه هذا "تاريخ حرب طرابلس" .

وعلى الرغم من انه ليس بين ايدينا شيء من اعماله في هذا الكتاب ، وعلى الرغم ايضا من انه ظل خاطرا محببا في نفسه ، ولم يصدر منه قليل ولا كثير ، فان ذلك لا يمنعنا من استكناه طبيعته، وخططه وبرنامجه الذي كان يرغب في التزامه ، لا سيما وأنه قد تحدّث عنه في معارض شتى ، وفي مناسبات من مقالاته ورسائله . والذي نحب تقريره في هذا المقام ، ان مترجمنا كان على الرغم من محاولته مغالبة تلك الظروف الشديدة ، والصعوبات المعوقة التي ما فتئت تطوقه ، الا ان قبضتها القوية كانت اشد واعتى ، ومعاندتها له كانت اعنف واصلب ، وفي اسرته وفي مشروعاته التي من بينها هذا الكتاب - في النشر التأليفي - الذي كان لو صدر ان يطلق عليه كتاب العمر .

اشار الباروني الى موضوع هذا الكتاب والى ملامح من محتوياته ، في مواطن متفرقة من بينها ما جاء في ردوده و مسجالاته مع الامير شكيب ارسلان ، وفي تصحيحه للأخطاء التي وقع فيها هذا الامير اثناء حديثه على حرب طرابلس الغرب . حيث سأل الله ان يوفقه لاتمام هذا الكتاب، وطبعه "ليحق الحق ، ويبطل الباطل ، ويخلد لأبطال طرابلس وبرقة ، فخرا يضرب به المثل عند الاجيال المقبلة" (38) . اذن ففكرة الكتاب تتجه الى الحديث عن الحرب الليبية بعامة ، وتتعلق بذكر وتسجيل البطولات في طرابلس وبرقة ، بقصد تنقية هذا التاريخ البطولي من الباطل ، وجعل صوره المشرقة فخرا للأجيال الجديدة . وقد لاحظت في الوثائق والمقالات التي اطلعت عليها والمتصلة بهذا العمل ان الباروني لم يستقر على تسمية معينة للكتاب ، كما لم يستقر على فترة محددة من تاريخ تلك الحرب ، فهو احيانا يعنون كتابه بهذا العنوان المسجع الجذاب "تاريخ الحرب في طرابلس الغرب" (39) . وأحيانا اخرى يسميه "تاريخ حرب طرابلس من سنة 1911 الى 1913". كذلك الأمر في الفترة الزمنية التي يدرسها الكتاب ، فهو يحددها في بعض المواضع كما مر في المدة الواقعة بين (1913/1911) ، ويتوسع في مواضع اخرى الى ان يصل بها الى سنة 1919 اي زمن القانون الاساسي . والخلاف في العنوان يكاد يكون شكليا ، اما الخلاف في مادة الدراسة وزمن الحرب ، فخلاف يقتضي التوسع ، ومزيدا من البحث والوثائق المتعلقة بالاحداث والرجال صناع تلك الحرب ومفسديها .

ومهما يكن من امره فان المادة التاريخية ، والرؤية الواضحة ، والحس النقدي المميز ، والقدرة على التاليف ، كلها عوامل معينة للباروني في هذا التاليف الضخم ، الذي حبس عن الظهور بفعل الاسباب المتعددة الخارجة عن ارادته . وقد ذكر بعضا من تلك الأسباب التي حالت بينه وبين اظهار

---

(38) انظر كتاب سليمان الباروني باشا ، ج ، 2 ، وملف الباروني .

(39) سليمان الباروني باشا ج 2 ، ص 110 وما بعدها .

كتابه وانجازه ، فكان منها ما هو راجع الى ظروفه الصحية والاسرية السيئة كما جاء في رسالته التي بعث بها الى الشيخ ابراهيم امتياز والمؤرخة في 12 ذي الحجة 1352 هـ / ، حيث ذكر: "وأتمنى ان يمن الله علي باستراحة البدن والقلب ، فاكتب تاريخ حرب طرابلس من سنة 1911 الى سنة 1919 مدللا بالحجج الرسمية ، حتى ينكشف الغطاء عن كل ما كتمه اصحاب المقاصد او زادوه مما لا اصل له" (40) . ومنها ما هو راجع الى ظروفه المالية العسيرة في سني هجرته وغربته، وهو ما أخبر به صديقه المذكور ، في رسالة اخرى ، بعث بها اليه بتاريخ 29 ربيع الاول 1353 هـ/ من بغداد "ما أخرني عن المباشرة في جمع التاريخ ، الا وجود وثائق الحرب الأولى ووثائق ما جرى في السلوم ، في اوائل الحرب الكبرى ، في صندوق بقي في استانبول ، ولا يمكن جلبه بسهولة ، ويحتاج الى مصروف كبير" (41) .

على أن تلك الظروف العسيرة ، والأحوال الصحية والنفسية والمالية السيئة قد تراخت قليلا -كما تقدم في ترجمته - فعاودته من جديد فكرة التاليف ، خصوصا بعد ما خصص له ملك العراق (فيصل بن حسين)، بناء على توصية من رئيس الوزراء حكمة سليمان ، مرتبا شهريا قدره خمسة عشر دينارا ، الأمر الذي حل عنه الضائقة ، وجعله يفكر في اظهار مشروعه التاليفي ، الذي أحب ان يقيمه علامة وفاء لوطنه ، الذي ارغمته الظروف على مغادرته . وقد كتب بهذه المناسبة كتابا آخر الى صديقه الشيخ ابراهيم امتياز اظهر فيه فرحه بذلك ومما جاء فيه "أسافر الى عمان ، بعد سفر ابراهيم لآتي ببقية الكتب ، واصفي اموري التي هناك واعود لأستأجر على ترجمة رسائل ومقالات فرنسية ، وايطالية ، وانكليزية ، تتعلق بحرب طرابلس ، لا نقل منها المهم في التاريخ وكان فراغ اليد معطلا ترجمتها ، والشروع في التدوين ، اما ما يمكن الحصول عليه من ثمن بقية الكتب (42) فسأخصصه لطبع التاريخ ، والله المعين" (43) . ويستخلص من كلمة ، بل من مقالة نشرها في بعض الصحف العراقية ونقلتها جريدة الأمة الجزائرية ، تحت عنوان "صفحة رائعة من جهاد طرابلس الغرب "أن الباروني قد شرع بالفعل في تاليف هذا الكتاب (44) .

والذي يستفاد من تلك الكلمات والرسائل السالفة ، أن هذا التاريخ تسجيل لحوادث الحرب الطرابلسية من سنة 1911، تاريخ الاحتلال الايطالي، الى سنة 1919 تاريخ صدور القانون الاساسي وهذا آخر ما استقر عليه رايه في الزمن الذي يتناوله الكتاب ، ومشروع تاليفي ضخم ، لا

---

(40) سليمان الباروني باشا ، ج ، 2 ، ص 114 .

(41) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 115 .

(42) يقصد الكتب التي قام بطبعها في مطبعة الأزهر الرياضية بمصر

(43) سليمان الباروني باشا ، ج 2 ، ص 113 .

(44) جريدة الامة ، العدد 108 ، سنة 1355/ 1937 .

يريد فيه الاقتصار على مجرد ذكر الحقائق والوثائق ، والآثار العربية المدونة في الصحافة والكتب المعروفة يومئذ فحسب ، وانما كان يريد لانجاز مشروعه التوثيقي هذا الاستعانة بأدوات ووسائل البحث العلمي ، من كتب وجرائد ومجلات عربية ، ومن استئناس بالمعلومات والافكار المطروحة في الدوائر الاستعمارية ، وفي صحافة اروبا ، باكتراء مترجمين لتتم له النظرة الشاملة ويتحقق لعمله العرض الدقيق مع العمل على دعم ذلك بالصور والخرائط والمستندات ، وكل ما من شانه توضيح الأحداث الواردة في تضاعف التاليف وتفسيرها . وقد طلب في مقال حرره في بغداد ، ونشر في بعض صحفها ونقلته جريدة الأمة - من الاطباء والموظفين والضباط الذين حضروا معه في الجهاد أن يتكرموا بارسال صورهم وتراجم حياتهم مع تفصيل ما شاركوا به في المعارك ، ليتذكر به ما نسيه وما تلف من اوراقه في "اسفاره القهرية" كما عبر (45) .

وفي راينا أن الكتاب - اذا قدّر له الظهور - لا يمكن أن يخلو من تأثرية مقبولة ، تدعو اليها حماسة مؤلفه وحبه لوطنه وهي التاثرية التي ظهرت ملامح منها في نشره الصحفي ، في ردوده على الأمير شكيب ارسلان والاستاذ تيسير ظبيان ، ومساجلاته مع الهادي كعبار وفرحات الزاوي ، وغيرهم ممن خاض معهم معارك قلمية في الدفاع عن الوطن ، وجهاد الليبيين . والمؤلف كان يحرص على أن يظهر في هذا الكتاب "تفصيل صرف ما ابقته الدولة - يعني الدولة العثمانية - من الارزاق وما دخل يده من الاعانات" (46) . وكان يمكن لهذا الكتاب ، لو افسح لمترجمنا في العمر، ووسع عليه في الرزق ، ومنح هدوء البال والخاطر ، ما يستعين به على العمل - ان يضيف بمادته ، وانطباعات وارتسامات مؤلفه عن الاحداث والرجال المشاركين في صنعها ، اضافات كبرى للمكتبة التاريخية الليبية وأن يميط اللثام عن كثير من الوقائع والملابسات الخفية ، ويعرض كل ذلك في اسلوبه النقي الواضح ، الذي صقلته الأيام ، وبروحه الصادقة المؤمنة ، التي لا تلوى على شيء، الا على البحث عن الحقيقة . ولكن ما ذكرناه من ظروفه الصحية والمالية ، وما لقيه من معضلات الاغتراب ، وما انجر عنها من متاعب ، ومعاجلة المنية له، كل ذلك ترك هذا الكتاب فكرة جليلة حائمة وحبيسة في صدر وقلب هذا المناضل ، كما انه لم يسعف بوصول ما شرع في كتابته بالفعل ، وبذلك بقي كما قال الاستاذ ابو اليقظان "ببرنامجه الواسع ووثائقة التاريخية الرسمية الحربية ملء نحو 4 صناديق ، مادة خام ، كنثرات التبر في معدن الذهب (47) . والراجع أن كتاب صفحات خالدة، الذي نشرته السيدة زعيمة الباروني، والذي صدر منه الجزء الأول عام (1384 هـ/1964م)

---

(45) جريدة الأمة ، العدد 108 ، سنة 1355/1937 .

(46) انظر كتاب سليمان الباروني باشا ، ج 2 ، ص113 .

(47) سليمان الباروني باشا ، ج 1 ، ص 85 .

والثاني عام (1388هـ/1964م) بطريقة تجميعية ، كم كان من المستحسن ، لو أنها لقيت ما تستحقه من التبويب العلمي ، والتفسير والتقديم والتعقيب الموسع ، يمثل بعضا من مادة هذا الكتاب . والتاريخ الليبي المعاصر ، والمؤرخون - وبخاصة صاحب هذا البحث - لا ينسى ما اسدته هذه السيدة الكريمة من عون ، ليس لتاريخ وترجمة ونضال والدها فحسب ، بل لدراسة الصفحات من جهاد الليبيين عامة .

محمد مسعود جبران
كلية اللغات - جامعة الفاتح